مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٥) العدد (١) ٢٠٢١
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (5) No. (1) 2021

نظرية النظم بين عبد القاهر الجرجاني والبنيوية

أ.د. حسين حبيب وقّاف*

علي محمد مؤنس**

(تاريخ الإيداع ٢ /١٢ /٢٠٢٠. قُبِل للنشر في ١/٢٨ /٢٠٢١)

□ ملخّص □

إن الفكر الإنساني على مر العصور عبارة عن سلسلة من الإبداعات والتأثرات والتأثيرات، سلسلة يؤثّر قديمُها بحديثها، وبعضهم ينقل القديم كما هو، والبعض يطور، والبعض يغير في صياغة القديم، حتى يبدو بحلّة جديدة، وعلى الدارس المختص أن يتلمّس الظواهر المنتشرة، ويدلّل عليها، ويبيّن أصلها إن أمكن، ويتتبّع تطورها، ويحاول البناء عليها، للارتقاء بالبحث والتوصل إلى نتائج، وهو ما عمل عليه هذا البحث، في موضوع العلاقة بين ما صنعه عبد القاهر الجرجاني وما قدمته البنيوية حديثاً.

فهو سيدرس نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، وأبرز أسسها وملامحها، وأبرز نقاط الالتقاء بين الفكر البنيوي وهذه النظرية، فهذه النظرية لا تقف عند اللغة العربية، بل تتعدّاها إلى جميع اللغات الإنسانية، نظرية يمكن وصفها بالعالمية، إذ نجد الجرجاني يضع فيها قوانين عامة لنظم الكلام، بعضها يخصّ العربية، وكثير منها ينطبق على اللغة الإنسانية عموماً، ومن هنا يكثر تداولها والمتحدثون فيها، وإن اختلفت طرق التعبير عنها، فلا غرابة أن تطرقها البنيوية وتبحث فيها، ولكن يبقى السبق للأقدم وإليه يعود الفضل.

الكلمات المفتاحيّة: النظم، الدلالة، اللغة، البنيوية.

*أستاذ في قسم اللّغة العربيّة، اختصاص النحو والصرف، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة طرطوس، طرطوس، سورية.

**طالب دراسات عليا (ماجستير) في قسم اللغة العربية، اختصاص لغويات (النحو والصرف)، جامعة طرطوس، طرطوس، سورية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٥) العدد (١) ٢٠٢١
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (5) No. (1) 2021

regulation theory between Abd al-Qaher al-Jarjani and structuralism

Prof. Dr. Hussein Habib Waqqaf*
Ali Mowannes**

(Received 2/12 /2020. Accepted 28/1/2021)

□ ABSTRACT □

Human thought throughout the ages is a series of creations, influences and impact, a chain which antiquity influences its modernity, some of them transfer the old as it is, some develop, and some change the formulation of the old, until it appears in a new apparel, and the specialized student must grope the widespread phenomena, demonstrate them, explain their origins if possible, trace their development, and try to build on them, in order to progress the research and reach results, This is what this research worked on, regarding the relationship between what was made by Abd al-Qaher al-Jarjani and what was recently presented by structuralism.

He will study systems theory according to Abdul Qaher Al-Jarjani, and its most supreme foundations and features, and the most prominent points of convergence between structural thought and this theory, as this theory does not stop at the Arabic language, but goes beyond it to all human languages, a theory that can be described as universal, as we find Al-Jarjani in which he sets general laws For speech regulation, some of them pertain to Arabic, and many of them apply to the human language in general, and from here they are frequently used and those who speak in it, and if the ways of expressing them differ, then it is not surprising that the structuralism approach and research in it, but the precedence remains for the oldest and to whom it is due.

Key words: regulation, semantic, language, structuralism.

*Professor in the Department of Arabic Language, specialization in grammar and morphology, Faculty of Arts and Humanities, Tartous University, Tartous, Syria.

**Postgraduate student (Master), Department of Linguistics (Grammar and Syntax), Department of Arabic Language, University of Tartous, Tartous, Syria.

مقدمة:

أهمية البحث: تأتي أهمية البحث من دراسته أبرز جوانب الالتقاء بين البنيوية، ومفهوم عبد القاهر الجرجاني للنظم.

هدف البحث: عرض أبرز جوانب الالتقاء بين البنيوية ومفهوم عبد القاهر الجرجاني للنظم.

الدراسات السابقة: هناك دراسات كثيرة تناولت نظرية النظم، منها: نظرية النظم وقيمتها العلمية عند عبد القاهر الجرجاني، محمد مراد، دار الفكر، دمشق، سورية، ط١، ١٩٨٣م.

المنهج الذي سيتبعه البحث هو المنهج الوصفي، فالبحث سيعرض الظاهرة، ويحللها، وبعدها ستُجرى المقارنة.

نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

النظم في اللغة كما جاء في لسان العرب هو التأْليفُ، قال: نَظَمَه يَنْظِمُه نَظْماً ونِظاماً ونَظَّمَه فانْتَظَمَ وتَنَظَّمَ. ونَظَمْتُ اللؤْلؤَ أَيْ جَمَعْتُهُ فِي السِّلْك، والتَّنْظِيمُ مِثْلُهُ، وَمِنْهُ نَظَمْتُ الشِّعر ونَظَّمْته، وكلُّ شَيْءٍ قَرَنْتَه بِآخَرَ أَوْ ضَمَمْتَ بعضَه إِلَى بَعْضٍ، فَقَدْ نَظَمْته، والنِّظامُ: الخيطُ الَّذِي يُنْظمُ بِهِ اللؤلؤُ، وتَنَاظَمَتِ الصُّخورُ: تلاصَقَت، ونَظَمَ الحبْلَ: شَكّه وعَقَدَه.[٥]

إذاً هو يحمل معنى التلاصق والتناسق والضم، وبعد ذلك أخذت فكرة النظم تنمو بنمو البلاغة، فارتبطت بفن القول، وللنحاة فضل كبير في دراسة الكلام وتحليله، والوقوف عند الجملة، وما يحدث فيها من تقديم وتأخير، أو حذف وذكر، أو فصل ووصل، فشغلت فكرة الإسناد والتعليق أذهان النحويين، يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: "...هذا كلام معلّق بالكلام الأول..." [٦]،أما سيبويه فلم يستخدم مصطلح النظم، ولكننا نستطيع أن نلمحه من خلال استخدامه لفظة (بناء) في باب المسند والمسند إليه، حيث يقول: "وهما ما لا يغنى واحد عن الآخر...فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه..." [٧]، ويمكن عد ظاهرة البناء عنده خطوة في نظرية النظم.

وبيّن السيرافي "أنّ المعاني النحوية شاملة للحركات الإعرابية وتمييز الصواب من الخطأ، والتقديم والتأخير"[٨]، وفكرة النظم الجرجانية قائمة كما سنرى على المعاني النحوية.

و رأى أبو علي الفارسي أنّه "لابدّ من تحقيق المعنى حتى يكون التركيب مقبولاً"[٩]، ولعلّ من أقدم الإشارات التي تناولت فكرة النظم إشارة ابن المقفع إلى صياغة الكلام حيث يقول: "...فليعلم الواصفون المخبرون أنّ أحدهم وإن أحسن وأبلغ ليس زائداً على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتاً وزبرجداً فنظمه قلائد وسموطاً وأكاليل...فسمّي بذلك صانعاً..." [١٠]، أمّا الجاحظ فوقع على لفظ النظم نفسه في كتابه نظم القرآن الذي لم يصل إلينا، ولكن مفهوم النظم عنده يقترب من مفهوم النظم عند الجرجاني؛ فقد أرجع الإعجاز القرآني لأسرار النظم المباين لأساليب العرب فميز نظم القرآن من نظم سائر كلام العرب[١١].

---

[٥]لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، مادة (ن ظ م).

[٦]الكتاب: سيبويه، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ٦٤/٣.

[٧]المصدر السابق: (٢٣/١).

[٨] نظرية النظم عند العرب في ضوء مناهج التحليل اللساني الحديث: عبد الله نايف عنبر، بإشراف د. نهاد الموسى، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، قسم الدراسات العليا للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص١٩.

[٩] المصدر السابق: ٢٠.

[١٠]رسائل البلغاء: محمد كرد علي، دار الكتب العربية الكبرى، ط٢، ١٩١٣م، ص٢٠، ٢١.

[١١] ينظر: نظرية النظم عند العرب في ضوء مناهج التحليل اللساني الحديث: ٢٥.

وتناول القاضي الجرجاني أيضاً النظم، وسبق عبد القاهر في استخلاص عناصر جوهرية[١٢]، وتناوله العديد من اللغويين إلّا أنّ الجرجاني يعد من أهم من بحث وتحدث في هذا المجال.

مفهوم النظم عند الجرجاني وعلاقته بالنحو:

أسهم عبد القاهر الجرجاني في الدراسات اللغوية بأبحاث قيمة، تحوّلت مع الزمن إلى ميدان ثري للدرس والتحليل، خاصة في نظرية النظم، التي تلمّس من خلالها القرآن الكريم مستفيداً من جهود من سبقه من العلماء، فنراه يعترف بإجماع العلماء قبله على تعظيم شأن النظم، وتفخيم قدره، حيث يقول: "...وقد علمتُ إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم وتفخيم قدره، والتنويه بذكره وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ... "[١٣]

ونستطيع أن نلخص مفهوم الجرجاني للنظم بقوله: " واعلم أن ليس النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النَّحو، وتعملَ على قوانينه وأصولِه، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها. وذلك أنَّا لا نعلم شيئاً يبتغيه النّاظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل بابٍ وفروقه...فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء به حيث ينبغي له..." [١٤]

إذاً هو موافقة وضع الكلام لعلم النحو، ونستطيع أن نتبيّن من قوله "...ينظر في وجوه كل باب وفروقه" أنّه لا يقصد بالنحو القواعد التي نضبط من خلالها أواخر الكلمات في الجمل، بل يقصد تلك المعاني التي يقتضيها علم النحو، فهناك بون شاسع بين قولنا: (زيدٌ منطلق)، وقولنا: (زيدٌ ينطلقُ)؛ ففي المثال الأول أثبَتْنا الانطلاق فعلاً، وفي الثاني زعمنا أنّ الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً [١٥]، "فالجرجاني أضاف من خلال تعريفه قيداً اصطلاحياً متمثلاً في نظم الكلام وفق النظام النحوي للغة العربية، وما يتيحه من خيارات تجعل الناظم يُعمل فيها فكره لانتقاء أكثرها نجاعة بعيداً عن الاعتباطية والعشوائية"[١٦].

وقول الجرجاني في حديثه عن النظم في مقدمة كتابه: "معلومٌ أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث: اسم، وفعل، وحرف، وللتعلق فيما بينها طرق معلومة؛... تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما... "[١٧]يذكرنا بتعليقة الإمام علي (كرم الله وجهه) عندما أعطاها لأبي الأسود الدؤلي وهي: الكلام كله اسم وفعل وحرف، الاسم هو ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أفاد معنى، ثم قال له انحُ هذا النحو يا أبا الأسود[١٨].

فهذه التعلقات النحوية بين الاسم والفعل والحرف، تشكل لدينا هذه الجملة أو هذا النص، وتشكل لدينا هذه الفروق المعنوية كما ذكرنا.

---

[١٢]ينظر: المصدر السابق: ٣٥.

[١٣]دلائل الإعجاز في علم المعاني: الإمام عبد القاهر الجرجاني، تص الشيخ محمد عبده و أ. الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، تعليق السيد محمد رشيد رضا، مديرية الكتب والمطبوعات، ١٩٨٨ – ١٩٨٩ م، ص ٦٣.

[١٤]المصدر السابق: ٦٤.

[١٥]ينظر: المصدر السابق: ١٣٤

[١٦]أسس نظرية النظم في الدرس اللغوي الحديث: د. عمر بو قمرة، مجلة جسور المعرفة، العدد١٠، الشلف الجزائر، ٢٠١٧م، ص ١٧٤.

[١٧]دلائل الإعجاز: مقدمة المؤلف، ص١.

[١٨]نظر: الحق وإزهاق الباطل: القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي، تعليق العلامة شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي، تصحيح إبراهيم الميانجي، ج٨، المطبعة الاسلامية، طهرن، ١٣٨٤هـ، ص١٢.

فالمسألة إذاً " ليست مجرد رصد للتغيرات التي تطرأ على أواخر الدوال، بل لابد من رصد العلل والأسباب التي أدت إلى هذا التغيّر، وهو ما قاد إلى إدراك دور الوظائف النحوية في الناتج الدلالي الذي يتفتّق مما بين المفردات من علائق " [١٩] وبهذا المفهوم نجد أنه لا غنى للنظم عن النحو.

أسس نظرية النظم عند الجرجاني

ذكر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز مصطلحات هي ركائز وأسس لنظرية النظم، نوجزها بالشكل الآتي:

١-**النظم:** وهو المصطلح الأساس الذي بنى عليه الجرجاني نظريته، وهو كما ذكرنا تتبعٌ لمعاني النحو. وفي عرض الجرجاني لنظريته نراه يفرق بين نظم الحروف ونظم الكلم حيث يقول: "ومما يجب إحكامه بعقب هذا الفصل الفرق بين قولنا حروف منظومة وكلم منظومة، وذلك أنّ نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتفٍ في ذلك رسماً من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه، فلو أنّ واضع اللغة كان قد قال (ربضَ) مكان ضربَ لما كان في ذلك ما يؤدّي إلى فساد. وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك؛ لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتبها على حسب المعاني في النفس..."[٢٠]

إذاً النظم لديه يتعلق بالكلم وليس بالحروف، ففي نظره لا توجد علاقة بين معنى الكلمة وترتيب حروفها، فهو ترتيب شكلي لا يتعدى أن يكون تواضعاً واصطلاحاً، فهو لا يخضع لمعنى كما يرى، أما نظم الكلم الذي تناوله وبنى عليه نظريته، فيتعلق بترتيب المعاني في النفس "وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء كيف جاء واتفق" [٢١].

ومن الجدير ذكره أنّ مصطلح النظم يناظر مصطلحات تناولها الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "وكذلك كان [النظم] عندهم نظيراً للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض حتى يكون لوضع حيث وضع علة تقتضي كونه هناك وحتى لو وُضِع في مكان غيره لم يصلح..."[٢٢] وهذه المصطلحات التي ذكرها استمدها من المجتمع الذي عاصره وهذا ما توحي به كلمة (عندهم)، والتي رأى أنّ النظم نظير لها.[٢٣]

ويقول الجرجاني:"...ووجدت المعوّل على أنّ ها هنا نظماً وترتيباً، وتأليفاً وتركيباً وصياغةً وتصويراً، ونسجاً وتحبيرًا، وأنّ سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه، سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها..." [٢٤]

---

[١٩] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: د. مجمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة – مصر، ط١، ١٩٩٥م، ص٥٤.

[٢٠] دلائل الإعجاز: ٤٠.

[٢١] المصدر السابق: ٤٠.

[٢٢] دلائل الإعجاز: ١٩.

[٢٣] ينظر: لسان العرب: مادة (ن س ج)، و (أ ل ف)، و(ص و غ)، و(ب ن ي)، (و ش ي)، و(ح ب ر)

[٢٤] دلائل الإعجاز: ٢٩.

وتكمن خطورة الجرجاني وبراعته في عرض هذه المفهومات والمصطلحات في أنّ عبد القاهر كان لا يفصل بين أنواع الفنون المختلفة، فهذه المفهومات تمثلت له في كل هذه الفنون ومن بينها الأدب، فالجرجاني بهذه النظرية كان يصور موقفاً من الفن والجمال في الفنون عامة، وليس في الأدب وحده. [٢٥]

٢-التعليق: بنى عبد القاهر نظريته على التعليق فهو أساس النظم عنده، وقبل أن نتناول التعليق عند الجرجاني سنأخذ نظرة على معناه اللغوي، يقال: عَلِقَ بالشيءِ عَلَقاً وعَلِقَهُ: نَشِب فِيهِ، وأَعْلَقَ الحابلُ: عَلِق الصيدُ فِي حِبَالته أَي نَشِب، وعَلِقَ الشيءَ عَلَقاً وعَلِقَ بِهِ عَلاقَةً وعُلوقاً: لَزِمَهُ، وعَلَّقَ الشيءَ بِالشَّيْءِ وَمِنْهُ وَعَلَيْهِ تَعْليقاً: ناطَهُ. [٢٦]

إذاً هو اتصال الأشياء عن طريق نشوبها في بعضها، ونجد عبد القاهر الجرجاني يركّز في تحديده النظم على فكرة التعليق حيث يقول: "معلوم أنّ النظم ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض..."[٢٧].

وبعد أن ربط الجرجاني النظم بالتعليق نراه ينتقل ليعرض لنا هذا التعليق الذي تحدث عنه؛ فهو يرى أنّ التعليق ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم كتعلق الخبر بالمبتدأ مثلاً، وتعلق اسم بفعل كأن يكون فاعلاً له، وتعلق حرف بهما كأن يتوسط حرف الجر بين الفعل والاسم فيجعل الفعلَ متعدياً إلى مالا يتعدى إليه[٢٨]. وفي ختام عرضه لأنواع التعليق يقول: "فهذه هي الطرق والوجوه في تعلّق الكلم بعضها ببعض، وهي كما تراها معاني النحو وأحكامه"[٢٩]

إذاً التعليق عند الجرجاني هو" إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية...فالتعليق يحدد معاني الأبواب في السياق، ويفسر العلاقات بينها..." [٣٠]

٣-الترتيب: الترتيب في اللغة من رَتَبَ الشيءُ يَرْتُبُ رتُوباً، وتَرَتَّبَ: ثَبَتَ فَلَمْ يَتَحَرَّكْ، والرَّتَبَةُ: الْوَاحِدَةُ مِنْ رَتَباتِ الدَّرَجِ. والرُّتْبةُ والمَرْتَبَةُ: المَنْزِلةُ عِنْدَ المُلوكِ وَنَحْوُهَ.[٣١] إذاً هو ثبات الكلمة في موضعها ومحافظتها على تسلسلها بالنسبة إلى أخواتها الكلمات.

يقول الجرجاني: "...الكلم ترتّب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس وأنّها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداء حروف لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر أن يجب فيها ترتيب ونظم..."[٣٢]، فالجرجاني يقصد بالترتيب ترتيبَ المعاني في النفس، وليس هو ترتيب الكلمات من حيث أصواتها، بل من حيث تعانق دلالتها، ويؤكد ذلك بقوله: "...ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل..."[٣٣]؛ ويقول: "...إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ..."[٣٤]. إذاً فالترتيب عنصر أساسي من عناصر نظرية النظم، ومقياس يقاس بواسطته الحسن في الكلام. "...

---

[٢٥] الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة: د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٢٠٢.
[٢٦] لسان العرب: مادة علق.
[٢٧] دلائل الإعجاز: مقدمة الجرجاني، ١.
[٢٨] ينظر: المصدر السابق: مقدمة الجرجاني، ١- ٤.
[٢٩] المصدر السابق: مقدمة الجرجاني، ٤.
[٣٠] اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م، ص ١٨٨، ١٨٩.
[٣١] لسان العرب: مادة رتب.
[٣٢] دلائل الإعجاز: ٤٥.
[٣٣] المصدر السابق: ٤٠، ٤١.
[٣٤] المصدر السابق: ٤٤.

وجملة الأمر أنّه لا يكون هناك ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصنعة أن لم يُقدم فيها ما قُدم ولم يؤخر ما أخر...".[٣٥]

إذاً فالترتيب هو: " وضع العلامات المنطوقة أو المكتوبة في سياقها الاستعمالي حسب رتب خاصة تظهر بها فوائد التقديم والتأخير الذين كانا موضع عناية فائقة من لدن عبد القاهر"[٣٦].

٤- **الموقع:** وهو من المصطلحات المتعلقة بالترتيب تعّلقاً وثيقاً، يُقَالُ: وقَع الشيءُ مَوْقِعَه، والمَوْقِعُ والمَوْقِعةُ: موضِعُ الوُقُوع، ومَواقِعُ الغيثِ: مَساقِطُه، وَوَقَعَ مِنْهُ الأَمْرُ مَوْقِعاً حسَناً أَو سَيِّئاً: ثَبَتَ لَدَيْهِ.. [٣٧]

إذاً هو يدل على الموضع الذي نضع فيه المعاني في النفس، فالنظم لا يمكن أن يتحقق بترتيب المعاني في النفس فقط، بل يجب أن نعرف المواقع التي يجب أن نضع الألفاظ فيها، وبناءً على هذا الموقع تترتب الألفاظ، يقول الجرجاني: "...وأنّ العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[٣٨]، فالكاتب يعرف مواقع ألفاظه في الجملة عندما يعرف مواقع معانيها في نفسه.

الموضوعات التي تناول الجرجاني النظمَ من خلالها:

يلاحظ القارئ لكتاب دلائل الإعجاز، الذي عرض الجرجاني فيه نظريته، أنّه تناول فيه موضوعات رئيسة متشعبة هي: التقديم والتأخير، والحذف، والفصل والوصل، "وما باقي الفصول التي كتبها إلا إضافات على الكتاب السابق وهو أسرار البلاغة في علم البيان، ومجادلات وتوضيحات وتأكيدات للنظرية احتاج إليها الجرجاني ليؤكد تجاوزه للتصورات القديمة بالنسبة إليه" [٣٩]

يبدأ الجرجاني أول ما يبدأ بالتقديم والتأخير، ومن خلال تقديمه هذا الباب يبدو لنا "أنّ نظرية النظم التي يقترحها الجرجاني تفترض أنّ إنتاج الكلام يتم في الذهن أولاً على هيئةٍ تركيبيةٍ ما؛ وهي العملية التي تسبق أية عمليةٍ أخرى وهي تتم عن طريق تصور هيئةٍ للكلام يراد من خلالها إيصال فكرةٍ ما، وتلك الهيئة تفرض شكلاً تركيبياً معينا ينبني على أساسٍ من تقديم كلمةٍ ما وتأخير أخرى، وهذا ما يفرض وضع التقديم والتأخير في مقدمة الأبواب التي تعالج مسألة إنتاج الكلام عموماً" [٤٠].

يقول الجرجاني في بداية الباب: " هو باب كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية... ولاتزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه... فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قُدِّم فيه شيء وحُوّل اللفظ عن مكان إلى مكان" [٤١]، وبعد التقديم والتأخير يتناول الجرجاني الحذف فيقول في مقدمة هذا الباب: "... فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق مما

---

[٣٥] المصدر السابق: ٢٧٨.
[٣٦] اللغة العربية معناها ومبناها: ص١٨٨
[٣٧] لسان العرب: مادة (و ق ع).
[٣٨] دلائل الإعجاز: ٤٤.
[٣٩] قراءة في نظرية النظم: د. بيان شاكر جمعة، ود. مهند حمد شبيب، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، المجلد الأول، العدد الأول، آذار، ٢٠٠٩م، ص ٢٥٥.
[٤٠] المصدر السابق: ٢٥٥.
[٤١] دلائل الإعجاز: ٨٣.

تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيان إذا لم تبن..."[٤٢]، فالمعنى المترتب في الذهن يتجلى في السياق، تدللنا عليه الكلمات الأخرى، فيحتاج إلى بصيرة، وعقل واع، وجهد يبذله القارئ، ليعرف، ويفهم هذا التجلي المضمر.

وبعد ذلك، يأتينا الفصل والوصل، ويقول الجرجاني في مقدمة هذا الباب: "...الفصل والوصل...لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة"[٤٣] فيحدثنا في هذا الباب عن العطف والاستئناف؛ أي إشراك الجملة بما سبقها بالإعراب والمعنى، أو إشراكها واتصالها بما سبقها بالمعنى فقط.

وهذه المراحل من تحليل النص توازي مراحل كتابته، وتتبع خطواتها كما كان يتصور الجرجاني، فبداية يوضع الأصل ثم يُتصرف بالتقديم والتأخير في الجملة الواحدة لإنتاج الفكرة السليمة، ومن ثم يأتي دور الحذف في الجملة نفسها أيضاً، وأخيراً الفصل والوصل لربط الجمل بعضها ببعض [٤٤].

وهكذا نستنتج؛ أن فهم الجرجاني للنظم كان فهماً واعياً لا يناله إلا متمرس ومفكر في اللغة، فتابع الجرجاني ما قدمه السابقون له، فنضجت لديه أفكارهم، فتناولها بعقل اللغوي الواعي مستخدماً مصطلحات بسيطة مفهومة لتقريب المسألة إلى ذهن المتلقي، ونبّهنا أنّه لا غنى لنا عن النحو، ليس هذا النحو القواعدي، بل المعاني التي تترتب عليها هذه القواعد، فالمعنى هو الأساس عند الجرجاني، واللفظ هو الصورة التي نفهم من خلالها المعنى وترتبه في النفس ولذلك كان لابد للمؤلف أن ينظم كلامه، ويرتبه على النسق الذي ترتبت عليه معانيه ليفهم المتلقي بعد ذلك المقصد الحقيقي للمؤلف من خلال نظره إلى المعاني عن طريق مرآة اللفظ.

مفهوم البنيوية:

إن لفظة البنيوية هي المقابل المترجم للفظة "structuralisme"، وهي "تشتق وجودها الفكري والمنهجي من مفهوم (البنية) أصلاً" [٤٥] والبنية في اللغة من البني والبَنْيُ نَقيضُ الهَدْم، والبِناءُ: المَبْنيُّ، وَالْجَمْعُ أَبْنِيَةٌ، وأَبْنِيَاتٌ جمعُ الْجَمْعِ، والبِنْيَةُ والبُنْيَةُ: مَا بَنَيْتَهُ، وَهُوَ البِنَى والبُنَى، والبِنْيَةَ الْهَيْئَةُ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا، وبَنَى فلانٌ بَيتاً بِنَاءً وبَنًّى، وابْتَنَى دَارًا وبَنَى بِمَعْنًى. والبُنْيَانُ: الحائطُ، وبَنَى الطعامُ لَحْمَه يَبْنِيه بِنَاءً: أَنْبَتَه وعَظُمَ مِنَ الأَكل. [٤٦]

وتُشتق كلمة بنية في اللغات الأوروبية من أصل لاتيني يعني البناء، أو الطريقة التي يقام بها مبنى ما، ثم امتد مفهوم الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنى ما من وجهة النظر الفنية المعمارية وبما يؤدي إليه من الجمال التشكيلي، وتنص المعاجم الأوروبية على أنّ الفن المعماري يستخدم هذه الكلمة منذ منتصف القرن السابع عشر[٤٧]

ويعد " (تيتيانوف)أول من استخدم لفظة بنية في السنوات المبكرة من العشرينات، وتبعه (رومان جاكبسون) الذي استخدم كلمة البنيوية أول مرة عام ١٩٢٩ " [٤٨]

---

[٤٢]المصدر السابق: ١١٢.

[٤٣]المصدر السابق: ١٧٠، ١٧١.

[٤٤]ينظر: قراءة في نظرية النظم: ٢٧٥.

[٤٥]البنية والبنيوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية العربية: د. يوسف وغليسي، مجلة الدراسات اللغوية، جامعة منتوري، قسنطينة، العدد ٦، ٢٠١٠م، ص ٢٦٠.

[٤٦]لسان العرب: مادة بني.

[٤٧]نظرية البنائية في النقد الأدبي: د. صلاح فضل، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م، ص ١٢٠ .

[٤٨]المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك: عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٢٣٢، ١٩٧٨م، ص ١٦٣.

نشأة البنيوية:

لم ينبثق المنهج البنيوي في الفكر الأدبي، والنقدي، وفي الدراسات الإنسانية فجأة، وإنّما كانت له إرهاصات عديدة ظهرت من خلال مجموعة من المدارس والاتجاهات المتباينة؛ كمدرسة الشكلانيين الروس، والنقد الجديد، والألسنية "ولعلها أهم هذه المصادر، وعلى الخصوص ألسنية فردينان دي سوسير الذي يعد أبا الألسنية البنيوية لمحاضراته (محاضرات في الألسنية العامة) التي نشرها تلامذته ١٩١٦ بعد وفاته" [٤٩]

أسس البنيوية:

١-نظر دي سوسير إلى اللغة بوصفها نتاجاً اجتماعياً، فقال: "إن اللغة والكلام عندنا ليسا بشيء واحد... فهي مجموعة من المواضعات يتبناها الكيان الاجتماعي ليمكّن الأفراد من ممارسة هذه الملكة..."[٥٠]،أما الكلام فهو عنده شيء فردي وشيء اجتماعي فلا يمكننا ترتيبه تحت أي قسم من أقسام الظاهرة البشرية لأننا لا يمكننا أن نستخرجه من وحدته [٥١]،فهذه القواعد اللغوية المتفق عليها ضمن المجتمع يطوعها الفرد ويختار ما يريده منها ليخدم كلامه فهكذا يكون للكلام جانب اجتماعي وجانب شخصي.

وينطلق البنيويون "من ضرورة التركيز على الجوهر الداخلي للنص الأدبي، وضرورة التعامل معه دون أية افتراضات سابقة من أي نوع، من مثل؛ علاقته بالواقع الاجتماعي، أو التاريخي، أو بالأديب وأحواله النفسية...لأنهم يرون في أن العمل الأدبي له وجود خاص، وله منطقه، ونظامه، وله بنية مستقلة، سواء أكانت عميقة، أو تحتية، أو خفية، فهو مجموعة من العلاقات الدقيقة" [٥٢]، فهم يدرسون النص مستقلّاً حتى عن مبدعه، أي يدرسونه لذاته، فالخطاب الأدبي ليس رصفاً خطياً للمفردات المعجمية، ولا رصفاً قواعدياً للألفاظ لتوليد المعاني المعهودة، وإن كان يستعملها فهو لا يورّث، أو يُحفّظ، أو يُلقّن، وإن كانت مادته اللغة فهو ليس مجرد لغة، ولا يُلقّن في المدارس التعليمية بل هو متمرّدٌ بصياغته، فالدلالات تولد بالصياغة عن طريق حركة انتظام البنية، وتشكّل بانتظام علاقاتها فضاء هذه الحركة، فالفضاء ليس مكاناً لغوياً وإن كانت اللغة هي أداته[٥٣]

"فاللغة ... كلٌّ يقوم على ظواهر مترابطة العناصر، ماهية كل عنصر وقف على بقية العناصر، بحيث لا يتحدد أحدها إلا بعلاقته بالعناصر الأخرى، فإذا بالحدث اللغوي جهاز تنتظم في كيانه عناصر مترابطة عضوياً، بحيث لا يتغير عنصر إلا إذا انجرّ عن تغيّره تغيّر في وضع بقية العناصر وبالتالي كل الجهاز، وما إن يستجيب الكل لتغيّر الجزء حتى يستعيد الجهاز انتظامه الداخلي" [٥٤].

وقادت فكرة الدال والمدلول دي سوسير إلى التساؤل حول طبيعة الإشارة (العلامة) اللغوية، فهي في رأيه علامة ذات طبيعة ثنائية: مادية يمثلها الصوت المسموع، ونفسية يمثلها المعنى الذي يرتسم في الذهن أو يستدعى في العقل والذهن عند سماع الصوت، فالعلامة اللغوية عنده تتكون من الدال أو الصورة السمعية، والمدلول أو المفهوم، فالعلامة اللسانية (بيت) مثلاً صورتها السمعية هي التتابع الصوتي (ب ي ت)، أما

---

[٤٩]تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية دراسة في نقد النقد: محمد عزام، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، (نسخة إلكترونية)، ٢٠٠٣م، ص١٣، ١٤.

[٥٠]دروس في الألسنية العامة: فردينان دي سوسير، تر محمد الفرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥م، ص٢٩.

[٥١]ينظر: دروس في الألسنية العامة: ٢٩.

[٥٢]المنهج البنيوي دراسة نظرية: ثامر المصاروة، الدكتور علي سرحان القرشي (موقع إلكتروني)، ٢٠١٣م.

[٥٣]ينظر: في معرفة النص دراسات في النقد الأدبي: يمنى العيد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م، ص٨٢.

[٥٤]اللسانيات وأسسها المعرفية: عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٦م، ص١٢٧.

مفهومها وهو كل ما يدركه مستعمل اللغة من معاني متعلقة هذه الصورة (بناء، مأوى، مخدع...)، والعلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة اعتباطية وليست طبيعية، ففكرة أخت لا تربطها أي علاقة داخلية بالتتابع الصوتي (أخت) الذي يمثل الدال، ويكون الربط بين الدال والمدلول في هذه الحالة ضرورة يقتضيها التواصل الاجتماعي، فالصلة بينهما صلة اعتباطية ضرورية. [٥٥]

والدلالة تنبني داخل النظام، فنجدها تكتسب أبعاداً لا يمكن إدراكها على مستوى المفردة الواحدة[٥٦]، فـ"جمالية النص الأدبي ماثلة في نظام التركيب اللغوي للنص؛ أي في بنية تركيب الجمل والمفردات"[٥٧].

عوامل التواصل اللغوي:

تأثر جاكبسون بظاهرة التقابل قصد توضيح الشيء بما يناظره الموجودة في محاضرات دي سوسير، وتأثر بالتقسيم التقليدي لدى بوهلر، فأضاف إلى هذه التقسيمات عوامل أخرى، فأصبحت عنده ستة عوامل هي: المُرسِل، والمرسَل إليه، والرسالة، والسنن، والمرجع، والقناة.

١-المرسِل: وهو مصدر الخطاب المقدّم إلى المرسل إليه في شكل رسالة، لا غنى عنه، فهو طرف أول في عملية التخاطب.

٢-المرسَل إليه: يقابل المرسِل في عملية التخاطب، ويصطلح عليه أيضاً بالمستَقبِل؛ أي هو المستمع الذي يقوم بعملية تفكيك الخطاب.

٣-الرسالة: وهي الجانب الملموس في العملية التخاطبية، حيث تتجسّد أفكار المرسل في صور سمعية في الخطاب الشفوي، أو علامات خطية في الرسالة المكتوبة، وربما في إشارات عديدة (إشارات الصم والبكم وإشارات السير...)، وهي تمثل محتوى الإرسال، وتتمحور حول إطار مرجعي معين وتنسج أبنية نظامها في ضوء نظام لغوي مقنّن (سنن)؛ أي أنّ عملية التحليل الخطابي تتم عبر نقل الصوت (الدال)، إلى المعنى (المدلول)؛ أي فهم المتلقي لدوال هذه الرسالة.

٤-السَّنَن: وهو يساوي مصطلح اللغة عند دي سوسير، ويُصطلح عليه أيضاً بالنظام، ويمثل السنن القانون المنظّم للقيم الإخبارية، ونجاح العملية الإخبارية يعتمد على مدى تمكن طرفي الحوار من هذا النظام(السنن).

٥-المرجع: ويصطلح عليه بالسياق، فلكلّ رسالة مرجع تحيل عليه، وسياق معين مضبوط قيلت فيه، ولا تفهم مكوناتها الجزئية أو تفكك رموزها السننية إلاّ بالإحالة على الملابسات التي أنجزت فيها هذه الرسالة، وقد يكون لفظياً أو غير لفظي يمثل المحيط الذي ولدت فيه هذه الرسالة وتشكّلت أبنية خطابها اللفظي، فيتضمن الموقع أو الإطار الزمكاني، والهدف والمشاركين في العملية التواصلية من حيث عددهم ومميزاتهم وعلاقاتهم.

٦-القناة: هي الممر الفيزيولوجي بين المرسل والمرسل إليه الذي يسمح بانتقال الرسالة، سواء عبر النطق كالهواء، أو الكتابة كالكتاب. [٥٨]

---

[٥٥]ينظر: في اللسانيات ونحو النص: إبراهيم خليل، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط٢، ٢٠٠٩م، ص١٩، ٢٠.

[٥٦]ينظر: المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث: تودوروف وآخرون، تر عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م، ص٢٣.

[٥٧]في معرفة النص: ١٢٧.

[٥٨]التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون: الطاهر بن حسين بو مزبر، الدار العربي للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٢٣- ٣٣.

ويرى البنيويون أنّ القارئ ليس ذاتًا، إنّه مجموعة من المواصفات التي تشكلت من خلال قراءته السابقة، وبالتالي فإن قراءته النص ورد فعله إزاء النص تتحدد بتلك القراءات، وبما أن هناك قرّاء عديدين فإن هناك قراءات متعددة للنص الواحد. ومعنى هذا بأن هؤلاء القرّاء يقومون (بترجمة) النص، وهذا كما يرى بارت، لكن النص يبقى هو النص ولهذا فإنه يحاور نفسه" [٥٩]

البنيوية كالحلقة المفرغة التي لا نستطيع من خلالها تلمس، أو تحديد طرفها، فأسماء كثر لمعت في أفقها وأسهمت في تشظي اتجاهاتها وبلورة أفكارها، وواضح من خلال ما قدمنا أن التأثير الأكبر كان لسوسير الذي تعامل مع اللغة بمعزل عن المؤثرات الخارجية، فتأثر به رواد البنيوية من العرب والغرب في نظرتهم إلى اللغة ودالّات النص ومدلولاته.

دراسة مقارنة

المصطلح:

من جهة المصطلح؛ إنّ النظم في معناه الواسع ضم الشيء إلى الشيء، أمّا البنية فمأخوذة من الفعل بنى وهو مصطلح شديد القرب من مصطلح النظم، فإذا أراد البنّاء أن يبني بيتاً وجب عليه أن يضم لبنة إلى أخرى، وينظمها بطريقة لا تؤدي إلى وقوع البيت فيما بعد.

وإذا أسقطنا هذا المفهوم على الكلم وجدنا الجرجاني يقول: "معلومٌ أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض..."[٦٠] فهذه الكلمات تتعلق ببعضها، وتكون الأخرى سبباً في الثانية كلبنات البيت متعلقة ببعضها وجود اللبنة متعلق بأختها ورأينا الجرجاني كيف قال: إنّ النظمَ نظيرٌ للبناء[٦١]، فقوله هذا يقطع الشك باليقين؛ فعملية الكلام عنده هي عملية بناء.

ومصطلح البنية الغربي (STRUCTURE) استُعمل في القرن السابع بالأمور البنائية كما سبق وتحدّثنا فربما هؤلاء استخدموا هذا اللفظ من المنظور نفسه أي نظروا إلى الكلام فوجدوه عملية بناء.

ويرى أندري لالاند في معجمه؛ أنّ البنية " بمعنى خاص ووحيد تستعمل من أجل تعيين كل مكون من ظواهر متضامنة بحيث يكون كل عنصر فيها متعلقاً بالعناصر الأخرى، ولا يستطيع أن يكون ذا دلالة إلا في نطاق هذا الكل"[٦٢].

المصطلحات التي استخدمها الجرجاني في عرضه للنظم؛ كالصياغة والبناء والوشي والتحبير وغير ذلك من المصطلحات جميعها مصطلحات معروفة مفهومة مستمدة من الواقع عالجها ودلل عليها.

أما بالنسبة إلى المصطلحات البنيوية واللغة التي استخدمها البنيويون في عرضهم لأفكارهم في عالمنا العربي والعالم الغربي، فسنتوقف عند بعض النقاط، أولاً: استخدم البنيويون مصطلحاتٍ في كثير من الأحيان غامضة "تتطلّب الاستعانة الدائمة بمعاجم حديثة في الدراسات النفسية واللغوية والنقدية لتحديد دلالات المفردات الباهرة –إن كان هذا ممكناً–من النظرة الأولى مثل؛ الوعي، والإدراك، والأنا الفاعلة، والقطيعة المعرفية" [٦٣].

---

[٥٩] المنهج البنيوي قراءة نظرية: ثامر المصاروة.

[٦٠] دلائل الإعجاز: مقدمة المؤلف، ص١.

[٦١] ينظر: المصدر السابق: ص٤٠.

[٦٢] نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي دراسة في المناهج: أ د. حبيب مونسي، دار الأديب، وهران، ص١٥٦.

[٦٣] المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك: ص٢٠

وهذه المصطلحات وغيرها من المصطلحات "التي أفرزتها الحداثة الغربية تثير أزمة عند قراء الحداثة الغربية ذاتها وتواجههم مشاكلنا نفسها...فإذا كانت هناك أزمة مصطلح بهذه الخطورة بالنسبة إلى المتلقي من داخل الإطار الثقافي الذي أفرز هذا الفكر...فلا بد أنّ أزمة المصطلح بالنسبة إلى المتلقي من خارج ذلك الإطار الثقافي أكثر خطورة وحدّة" [٦٤]

ثانياً: اللغة التي استخدمها هؤلاء –وأخص بالذكر البنيويين العرب– لغةٌ صعبة غير مفهومة، تباغت المتلقي بوابلٍ من الطلاسم والمفاهيم المنقولة عن كتابات الغربيين، فيتحوّلُ على سبيل المثال المجاز عندهم إلى انحراف يتبنّاه علم الغراماتيك، وتتحوّل دلالات الألفاظ إلى سيميوتيكا، ويتحول مفهوم البنية إلى قواعد هندسية وخطوط تقاطع وتداخل، وغير ذلك من المصطلحات التي يتعذر على الغربي فهمها قبل العربي [٦٥].

فيعرض على سبيل المثال عبد العزيز حمودة في كتابه المرايا المحدبة مقطعاً من مقاربة كمال أبو ديب لمعلقة امرئ القيس، وهو هذا: "...ويمكن من الناحية اللغوية أن نرى هذه الجمل مرتبة على النحو التالي: توجد أ وكانت هناك ب. وتوجد ج وكانت هناك د. وكانت هناك أ و ب وكان هناك ج ١ + د ١ ولكن التوافق بين أ وأ، وب وب ١ إلى آخره ليس هو كل شيء..."[٦٦].

فواضح مدى صعوبة هذا الشرح والتحليل للمعلقة، فيتساءل صاحب المرايا، وأتساءلُ، وأظنّكم تتساءلون مثلنا: "أين القصيدة في كل هذا؟"[٦٧] في حين نرى الجرجاني يشرح بلغة بسيطة، مستخدماً كما ذكرنا مصطلحات سهلة متداوَلة.

هذا بالنسبة إلى المصطلح، واللغة المستخدمة في الشرح بين الجرجاني في شرحه لنظريته، والبنيويين في عرضهم لأفكارهم، ومجال الحديث لو أردنا يطول، ولكن حسبي أن قدمتُ نظرة.

اللغة والنحو:

رأينا كيف نظر الجرجاني إلى النظم على أنه تتبع معاني النحو،ولكن هل اللغة بحسب مفهوم دي سوسير، والسنن بحسب مفهوم جاكبسون يقتربان من مفهوم معاني النحو عند الجرجاني؟ الجواب هو نعم؛ فاللغة عند دي سوسير –المؤسس الأعظم للبنيوية كما مر معنا– هي ميدان اهتمامه الوحيد، فهي عنده "...قاعدة للحكم على جميع مظاهر الكلام الأخرى"[٦٨]، والسنن عند جاكبسون يساوي مفهوم اللغة عند دي سوسير كما ذكرنا.

واضح مدى القرب بين المفهوم البنيوي ومفهوم الجرجاني، فمعاني النحو عند الجرجاني هي ما يجب أن ننظم الكلام من خلاله، إذاً قاعدة الحكم على جودة الكلام عنده هي معاني النحو، وقاعدة الحكم على الكلام عند دي سوسير هي اللغة، وعند جاكبسون السنن، هذا شيء، أما الشيء الآخر فهو كما مر أن دي سوسير نظر للغة أنّها شيء اجتماعي يحمله جميع الأفراد، أما الكلام فهو عنده له جانب اجتماعي وجانب شخصي، فنراه يقول: "فللكلام جانب شخصي وجانب اجتماعي، ولا يمكن تصور الواحد من دون الآخر...أمّا اللغة فهي على عكس ذلك كلّ بذاته ومبدأ من مبادئ التبويب..."[٦٩]

---

[٦٤] المصدر السابق: ص٢٩.

[٦٥] ينظر: قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي دراسة مقارنة: د محمود عباس عبد الواحد، دار الفكر العربي، مدينة نصر، ط١، ١٤٧١ هـ، ١٩٩٦م، ص٧٢.

[٦٦] المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك: ص٤٠.

[٦٧] المصدر السابق: ص٣٩.

[٦٨] دروس في الألسنية العامة: ص٢٧.

[٦٩] المصدر السابق: ص٢٨، ٢٩.

والنحو هو ملكة اجتماعية يمتلكها كل من يتكلم اللغة؛ فهو مشترك بين أصحاب اللسان الواحد، فهو ظاهرة اجتماعية، والدليل على ذلك أيضاً ما قلناه من قول الإمام علي (كرم الله وجهه) أنه بعد أن عرض أنواع الكلمة على أبي الأسود قال له: "انحُ هذا النحو".

والكلام عند الجرجاني أيضاً له جانب شخصي، وجانب اجتماعي وإن كان لم يذكر ذلك صراحة بالعبارة الواحدة، ولكن نستطيع أن نلمحه في قوله السابق" واعلم أن ليس النّظم إلاَّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النَّحو..." النحو هو الملكة الاجتماعية، واختياري للكلمات وطريقة نظمي لها هو الجانب الشخصي؛ إذاً الجرجاني سبق البنيوية في مفهومه للغة والكلام.

انتظام الكلام:

كما قلنا سابقاً يرى الجرجاني أن النظم " ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض" وهو يرى أنّ ترتيب الألفاظ في السياق يكون على نسق ترتيب المعاني في النفس، أما عند البنيويين فيرى دي سوسير "...أنّ الكلمات تعقد فيما بينها في صلب الخطاب وبمقتضى تسلسلها علاقات قائمة على الصفة الخطيّة للغة، وهي صفة ينتفي معها إمكان النطق بعنصرين معاً في الوقت نفسه، وتنتظم هذه العناصر الواحد تلو الآخر في سلسلة اللفظ..."[٧٠] ويرى أيضاً أنّه في أثناء عملية الكلام "...تقترن ظواهر الإدراك–وهي التي نسميها المتصورات الذهنية– بما يمثل الدلائل اللغوية أي الصور الأكوستيكية المستخدمة للتعبير عن تلك الظواهر ولنفترض أنّ متصوراً ما يثير في الدماغ صورة أوكيستيكية مناسبة له فإنّ العملية تمثل ظاهرة نفسية...تليها عملية فيزيولوجية..."[٧١]، إذاً الكلمات عنده تتعلق ببعضها في السياق، فلا يمكن أن تحلّ لفظة مكان أخرى، وهذا يذكّرنا بمفهوم الموقع عند الجرجاني، ولكن الجرجاني كما قلنا سابقاً يرى أنّ موقع الكلم في السياق يكون على حسب موقع المعنى في النفس، فلا يمكن أن تحلّ لفظة مكان أخرى وتعبّر الجملة عن المعنى نفسه، ولم نجد هذا المفهوم عند دي سوسير وغيره، ولكنّنا رأينا في قول دي سوسير الأخير أنّه أيضاً هناك تصور ذهني ومن ثم يقترن هذا التصور باللفظ.

وفي حديثنا عن مفهوم الرسالة عند جاكبسون قلنا إنّه يرى أنّ أفكار المرسِل تتجسّد في صور سمعية في الخطاب الشفوي، أو علامات خطية في الرسالة المكتوبة.

ويرى عبد السلام المسدي في العلامة أنّها "...تبدأ منعزلة ثم تتجمّع مع جنيساتها لتكوّن نواة انتظام..."[٧٢]، وهو يرى أنّ الإنسان يملك طاقة ذهنية تمكّنه من ربط الدال بالمدلول؛ أي التعبير عن المتصور الذهني باللفظ فتحل الألفاظ محل الأشياء المُتَحَدَّث عنها [٧٣].

إذاً لقد اتفقت البنيوية في النظر إلى هذا الانتظام اللغوي مع فكر عبد القاهر، وإن كان عبد القاهر قد فصّل أكثر وأعطى المعنى حقه في كلامه أكثر منهم.

اللفظ (الدال) والمعنى (المدلول):

يرى الجرجاني أنّ الألفاظ لا قيمة لها من حيث هي ألفاظ، بل قيمتها بالمعنى الذي تدلّل عليه، فلا غنى للفظ عن المعنى، أمّا المعنى فيستغني عن اللفظ، ولكن إذا أراد المتكلم إظهار المعنى المترتب في ذهنه، أو

---

[٧٠] دروس في الألسنية العامة: ص١٨٦.
[٧١] المصدر السابق: ص ٣٢.
[٧٢] اللسانيات وأسسها المعرفية: ص٥٣.
[٧٣] ينظر: المصدر السابق: ص٨٩.

أردنا أن نعرف ما في ذهنه احتجنا واحتاج إلى اللفظ ليظهر معناه فنفهمه من خلال اللفظ[٧٤]، "فالألفاظ إذا كانت أوعيةً للمعاني فإنّها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها..." [٧٥].

ويرى دي سوسير أن اللفظ والمعنى، أو بحسب تسميته إياهما (الدال والمدلول) "...ملتحمان التحاماً شديداً ويستدعي وجود أحدهما وجود الآخر..."[٧٦]، ويرى "أنّ الرابط الذي يجمع بين الدال والمدلول رابط اعتباطي"[٧٧].

إذاً نلاحظ أنّ دي سوسير يتفق مع فكر عبد القاهر الجرجاني؛ فهو يرى أن اللفظ والمعنى مترابطان، وهو يرى أن العلاقة بين هذا الصوت المسموع ومعناه علاقة اعتباطية لا قاعدة لها.

نظرية التواصل اللغوي:

قلنا سابقاً: إنّ نظرية التواصل اللغوي عند جاكبسون الذي تأثر بدي سوسير تقوم على ستة عوامل هي: المرسل والمرسَل إليه، والرسالة، والسنن، والسياق، والقناة، ولكن هل نجد هذا عند الجرجاني في حديثه عن النظم؟

لم يذكر الجرجاني ذلك صراحةً، ولكنّنا نستطيع أن نلمحه بوضوح في أقواله:

"...النظم هو أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو..."[٧٨] فهو هنا يتحدّث عن المرسِل، دلّنا على هذا "كلامك"، وفي إشارته إلى المتلقي يقول مثلاً: "وهل تجد أحداً يقول هذه اللفظة فصيحة إلّا وهو يعتبر مكانها من النظم..." [٧٩] فهو يتحدث هنا عن عملية التلقّي من جهة المخاطَب أو القارئ.

والرسالة عند الجرجاني تظهر بتحليلاته للأبيات والآيات القرآنية، ولكنّه لم يتحدّث عن القناة؛ هذا الممر الفيزيولوجي. والفضل الذي يعود إلى البنيويين في هذه النقطة هو أنّهم فصّلوا فيها، وتحدّثوا عنها بوضوح تحت مسمىً معين؛ أما عبد القاهر فذكرها – كما قلنا – ضمن شرحه، ولم يفصّل لها عناوين خاصة بها.

وبعد هذه الدراسة المقارنة بين الفكر الجرجاني للنظم والبنيوية نجد أنّ البنيويين قد التقوا مع فكر الجرجاني للنظم؛ إلّا أنّ الجرجاني كان الأسبق في كثير من الأشياء.

خاتمة

وهكذا وبعد هذه الدراسة، اتضح أنّ مفهوم النظم عند الجرجاني يتلخص بأنه؛ تعليق الكلم بعضها ببعض على حسب الوضع الذي يقتضيه علم النحو، واتضح أن هذا النحو المقصود هو المعاني النحوية وليس القواعد المعيارية. ورأينا أنّ الفكر البنيوي قد اتفق مع الفكر الجرجاني في كثير من المناحي، فقابل مفهومهم للغة والسنن مفهوم الجرجاني في معاني النحو، وعملية الكلام عندهم هي كما عند الجرجاني تبدأ من المتصور الذهني، فيأتي الكلام ليعبر عنه.

ورأينا أنّ الجرجاني ودي سوسير نظرا إلى أن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية، فحروف الكلمة لا تدل على معناها عندهما.

وفي نظرية الكلام ذكر الجرجاني العوامل التي تحدث عنها جاكبسون، إلا أنّه لم يذكرها صراحة بالعبارة الواحدة ولكننا استطعنا أن نلمحها في أقواله.

---

[٧٤] ينظر: دلائل الإعجاز: ص٤٢.
[٧٥] المصدر السابق: ٤٣.
[٧٦] دروس في الألسنية العامة: ص ١١١.
[٧٧] المصدر السابق: ص ١١١، ١١٢.
[٧٨] دلائل الإعجاز: ص٦٤.
[٧٩] المصدر السابق: ص ٣٦.

والجرجاني على قدم زمانه استطاع أن يصل إلى نتائج ودراسات فاقت النظريات الحديثة في بعضها، ولكن وعيه هذه الأمور لم يأت دفعة واحدة، فقد أفاد ممن سبقوه، فالعلم لا يعرف شخصاً بعينه وإنّما كل عالم يقدم نظرته على ضوء من سبقه، وبعد ذلك أتتنا البنيوية بعد سنين وانتقلت دراساتها إلى عالمنا العربي، فأغنت الفكر العربي في بعض المناحي، وعقّدت الأمور في مناحٍ أخرى، ولكنّ المفكر العربي استطاع أن يقرأ تراثه في ضوء ما قدّمَتْه وأخذ، فاكتشف أشياء كان قد غفل عنها، وكنوزاً كان قد زهد بقيمتها.

المصادر والمراجع:

١. *إحقاق الحق وإزهاق الباطل*: القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي، تعليق العلامة شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي، تصحيح إبراهيم الميانجي، ج٨، المطبعة الاسلامية، طهرن، ١٣٨٤هـ.

٢. *الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة*: د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٢م.

٣. *تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية دراسة في نقد النقد*: محمد عزام، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، (نسخة إلكترونية)، ٢٠٠٣م.

٤. *التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون*: الطاهر بن حسين بو مزبر، الدار العربي للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

٥. *دروس في الألسنية العامة:* فردينان دي سوسير، تر محمد الفرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥م.

٦. *دلائل الإعجاز في علم المعاني*: الإمام عبد القاهر الجرجاني، تصحيح الشيخ محمد عبده و أ. الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، تعليق السيد محمد رشيد رضا، مديرية الكتب والمطبوعات، ١٩٨٨ – ١٩٨٩ م.

٧. *رسائل البلغاء*: محمد كرد علي، دار الكتب العربية الكبرى، ط٢، ١٩١٣م.

٨. *في اللسانيات ونحو النص: إبراهيم خليل*، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط٢، ٢٠٠٩م.

٩. *في معرفة النص دراسات في النقد الأدبي*: يمنى العيد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

١٠. *قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي دراسة مقارنة: د محمود عباس عبد الواحد*، دار الفكر العربي، مدينة نصر، ط١، ١٤٧١ هـ، ١٩٩٦م.

١١. *قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني*: د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة – مصر، ط١، ١٩٩٥م.

١٢. الكتاب: *سيبويه*، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٣. *لسان العرب*: ابن منظور، دار صادر، بيروت.

١٤. *اللسانيات وأسسها المعرفية*: عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٦م.

١٥. *اللغة العربية معناها ومبناها* : د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.

١٦. *المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك:* عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٢٣٢، ١٩٧٨م.

١٧. *المرجع والدلالة في الفكر اللساني* الحديث: تودوروف وآخرون، تر عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م.

١٨. *نظرية البنائية في النقد الأدبي*: د. صلاح فضل، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م.

١٩. *نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي دراسة في المناهج:* أ د. حبيب مونسي، دار الأديب، وهران.

الرسائل الجامعية والمجلات:

١. *أسس نظرية النظم في الدرس اللغوي الحديث:* د. عمر بو قمرة، مجلة جسور المعرفة، العدد١٠، الشلف الجزائر، ٢٠١٧م.

٢. *قراءة في نظرية النظم: د. بيان شاكر جمعة*، ود. مهند حمد شبيب، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، المجلد الأول، العدد الأول، آذار، ٢٠٠٩م.

٣. *المنهج البنيوي دراسة نظرية: ثامر المصاروة*، الدكتور علي سرحان القرشي (موقع إلكتروني)، ٢٠١٣م.

٤. *نظرية النظم عند العرب في ضوء مناهج التحليل اللساني الحديث*: عبد الله نايف عنبر، بإشراف د. نهاد الموسى، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، قسم الدراسات العليا للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.